وكما يتبع بهذا الفصل تألف الاعدا بما يثنيهم عن البغضة ويعطفهم على المحبة وذلك
قد يكون بصنوف من البر ويختلف بحسب اختلاف الاحوال فان ذلك قد يكون من سمات
الفضل وشروط السودد فانه ما احد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا او بحسب
وفور النعمة تكثر الاعدا والحسدة قال البحتري

ولن تستبين الدهر موقع نعمة ... اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

فان اغفل تألف الاعدا مع وفور النعمة وظهور الحسد فانه ربما توالى عليه من
مكر حليمهم وبادرة سفيههم ما تصير به النعمة غراما والدعة ملاما وروى
ابن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل
بعد الايمان بالله التودد الى الناس وقال سليمان بن داود عليه السلام لابنه
لا تستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل ولا تستقل ان يكون
لك عدو واحد فالواحد كثير فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم ... بطون اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا الف خل وصاحب ... وان عدوا واحدا لكثير

وقيل لعبد الملك بن مروان ما الذي افدت في ملكك هذا قال مودة الرجال
وقال بعض الحكما من علامة الاقبال اصطناع الرجال وقال بعض
البلغا من استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد صديقه نقص من عدده
وقال بعض الادبا العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يبصره من عداوته
ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو يقدر على استصلاح من
يعاديه بحسن صنايعه واياديه وقال عبد الله بن الزبير ثلاث ابيات
جامعة لكل ما قالته العرب وهي هذه الابيات

بلوت الناس قرنا بعد قرن ... فلم ار غير ختال وقالي
وذقت مرارة الاشيا جميعا ... فما طعم امر من السوال
ولم ار في الخطوب اشد هولا ... واصعب من معادات الرجال

وقال القاسم التنوخي القاضي

الق العدو بوجه لا قطوب به ... يكاد يقطر من ماء البشاشات
فاحزم الناس من يلقى اعاديه ... في جسم حقد وثوب من مودات
الرفق يمن وخير القول اصدقه ... وكثرة المزح مفتاح العداوات

وانشدت عن الربيع للشافعي رحمه الله تعالى

لما عفوت ولم احقد على احد ... ارحت نفسي من هم العداوات
اني احيي عدوي عند رؤيته ... كانما قد حشى قلبي محبات
واظهر البشر للانسان ابغضه ... لادفع الشر عني بالتحيات
الناس داء ودواء الناس قربهم ... وفي اعتزالهم قطع المودات

وليس وان كان بتألف الاعدا مامورا والى مقاربتهم مندوبا ينبغي له
ان يكون اليهم راكنا وبهم واثقا بل يكون منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز
فان العداوة اذا استحكمت في الطبايع صارت طبعا لا يستحيل وجبلة لا تزول
وانما يستكف بالتألف اظهارها ويستدفع به اضرارها كالنار يستدفع
بالما احراقها ويستفاد به انضاجها وان كانت محرقة بطبع لا يزول
وجوهر لا يتغير وقد قال ابن نباتة

واذا عجزت عن العدو فداره ... وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالما الذي هو ضدها ... تعطي النضاج وطبعها الاحراق

فصل وأما البر وهو الخامس من اسباب الالفة فلانه يوصل
الى القلوب الطافا ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك ندب الله تعالى الى التعاون
به وقرنه بالتقوى فقال وتعاونوا على البر والتقوى لان في التقوى رضى الله تعالى
وفي البر رضى الناس ومن جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد تمت سعادته
وعمت نعمته وروى الاعمش عن خيثمة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من احسن اليها وجبلت القلوب على بغض